المحاضرة رقم 4 :

الخصائص لابن جنّي:

"هو أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي النحوي العربي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة"[1]، وكان أبوه (جني) مملوكاً روميًا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي.[2]ولقد أراد ابن جني تفسير اسم أبيه جني الرومي، فوجد أنه يعني في العربية: الفاضل، وتعني في اليونانية: كريم و عبقري.

مولده ووفاته: ولد في الموصل قبل سنة ثلاثمائة، وقيل قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة،وتوفي في ليلة الجمعة السابع والعشرين من صفر سنة 392هـ.

صفاته

كان ابن جني رجل جدّ وامرأ صدق في فعله وقوله فلم يعرف عنه اللهو ابدا، وكان عف اللسان والقلم يتجنب الألفاظ الدنية، ولم يكن همه التزلف من الملوك ومنادمتهم .

كان من أتباع المذهب البصري، ولكن خلق العالم أبى عليه أن يكون متعصبا لهذا المذهب، فكان يأخذ بالرأي الذي يقتنع به أيا كان مصدر هذا الرأي، فنحن نراه في الخصائص يكثر النقل عن الكسائي وثعلب (أبو عباس أحمد بن يحيى)، وقد يقف موقفا وسطا بين المذهبين البصري والكوفي ويأخذ بالمذهب البغدادي[3].

أساتذته:

أخذ ابن جني النحو عن الأخفش وبعده عن أبي علي الفارسي،وأخذ عن كثير من رواة اللغة والأدب منهم أبو بكر محمد المعروف بابن مقسم ، وروى عن ثعلب، كما روى عن المبرد. ويروي ابن جني عن الأعراب الذين لم تفسد لغتهم، وممن أخذ عنهم أبي عبد الله الشجري.[4]

لقد أخذ عنه وأحسن الأخذ عنه، وهو الذي أحسن تخريجه ونهج له البحث. وتجمع الروايات على أن أبا الفتح صحب أبا علي بعد سنة 337هـ ولازمه في السفر والحضر أربعين سنة، وأخذ عنه.[5]

---

[1]- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1998م، ج11، ص 360.

[2]- ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة،1977 بيروت، ج3، ص 254.

[3]-ابن جني، الخصائص، مقدمة التحقيق، ص 46.

[4]- التنوخي، أبو المحاسن ، تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم ،تحقيق: عبد الفتاح الحلو(الرياض،جامعة الإمام محمد بن سعود، 1981 ص 441.

[5]-عبد الباقي اليماني، ، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: عبد المجيد دياب(الرياض، مركز الملك فيصل، ط1، 1986)200.

مؤلفاته:

ترك ابن جني للأجيال بعده من مصنفاته ما بلغ سبعة وستين مصنف، مابين وجيز ووسيط وبسيط، منها ما هو مطبوع، ومنها ما ذكر المفهرسون مكان وجوده، ومنها ما لا نجد له ذكرا ولا في فهارس المخطوطات، ومن مصنفاته المشهورة:

كتاب الخصائص، اللمع في النحو، المحتسب في شرح الشواذ، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث،وتفسير ديوان المتنبي وغيرها.[1]

كتاب الخصائص، الماهية والتعريف.

كتاب الخصائص من الكتب اللغوية القديمة، يبحث في خصائص اللغة العربية، وقد نص المؤلف على هدف تأليف هذا الكتاب، وأنه ليس البحث في المشكلات اللغوية الجزيئية، ولكن البحث في مشكلاتها الكلية، أي في فلسفتها. يقول:"إذ ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجزم؛ لأن هذاأمر قد فرغ في أكثر الكتب المصنفة فيه منه، وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معان المعاني، وتقرير حال الأوضاع والمبادئ ، وكيف سرت أحكامها في الأنحاء والحواشي"[2]، كذلك من الأهداف:

- الكشف عن أسرار اللغة العربية الشريفة، وإقامة الأدلة على ما حوَتْه من خصائص الحكمة ووجوه الإتقان والصنعة.

- أيضًا من الأسباب والدوافع: أن ابن جني عمل كتابًا في أصول النحو العربي بمفهومه العام، على غرار كتابه "أصول الفقه وأصول الكلام"عندما كان البصريون والكوفيون على كثرة ما بحثوا وألّفوا قد تنكّبوا هذا الطريق، ولم يعرضوا لتلك الأصول، إلا ما كان من أبي الحسن الأخفش، وأبي بكر بن السراج في كتابيهما، وكما يقول ابن جني: "ينقصهما التفصيل والاستيعاب".

- أيضًا من الدوافع: أن ابن جني وجد أن طلاب العربية في عصره في حاجة إلى كتاب يشبع نهمهم من تلك الأصول اللغوية.

- يضاف إلى ذلك: أن ابن جني كان لديه رغبة أكيدة في القيام بواجبه إزاء اللغة العربية، عسى الله أن يجزيه عن لغة القرآن المبين أحسن الجزاء.[3]

موضوع الكتاب

---

[1]-عمر رضا كحالة، ، معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت) ج6، ص 251.

[2]- ابن جني، الخصائص ج1، ص 32.

[3]-صالح بلعيد، مصادر اللغة، ص 147.

كتاب "الخصائص" لابن جني ليس كتابًا في النحو، ولا في الصرف، مع أن الكثير من مسائل وأبواب هذا الكتاب لا تخلو من مسائل النحو والصرف. هو يعد كتابًا في أصول اللغة العربية، حيث يعرض فيه ابن جني لما صح أن يطلق عليه اسم: القوانين الكلية والمبادئ العامة التي تُردّ إليها معظم المسائل النحوية والتصريفية واللغوية، يقول:

"فإن هذا الكتاب ليس مبنيّا على حديث وجوه الإعراب وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام وكيف بدئ وإلام نُحِي وهو كتاب يتساهم ذوو النظر من المتكلّمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتّاب والمتأدّبين التأمّل له والبحث عن مستودعه فقد وجب أن يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ليكون له سهم منه وحِصّة فيه"[1]

وقد سُبق ابن جني في هذا المجال بأبي الحسن الأخفش، وابن الساج؛ ولذلك ابن جني في "الخصائص" في المقدمة يقول: "وذلك أنا لم نر أحدًا من علماء البلدين -الكوفة والبصرة- تعرّض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه. فأما كتاب "أصول بكر" - بكر بن السراج- فلم يلمم فيه بما نحن عليه إلا حرفًا أو حرفين في أوله، وقد تعلق عليه به، وسنقول في معناه على أن أبا الحسن -الأخفش- قد صنف في شيء من المقاييس كتيبًا إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنَّا نُبنا عنه فيه، وكفيناه كلفة التعب به"[2].

منهج ابن جني في التأليف:

يعد منهج ابن في كتابه الخصائص منهجًا وصفيًا تحليليًا ،حيث يصف الظاهرة ويضع النتيجة تحت كعنوان،مثلا (القول في اللغة إلهام أم اصطلاح، ثم يأتي بأصول عامة تتمثل في قياس وينقسم إلى (مقيس ومقيس عليه وعلة وحكم، ويورد بعض المسائل والعناوين وهي فروع للمسائل التي أصل لها بهذه العناوين السماع، القياس، الإجماع، الاستحسان، الاستصحاب) إي إنه يعرف الأصل ثم يأتي بمسائله الفرعية التي تتوارد تبعًا لكل مسألة وربما هو قدم وأخر[3].

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج1 ص67.

[2]-المرجع نفسه: ص 67.

[3]– عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص 268.